العدد ١٩ تشرين الثاني ٢٠٢٥
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.19 – Nov 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

رحلات إبراهيم الخليل عليه السلام بين العراق والشام والحجاز وأثرها في بناء الأمة المسلمة في ضوء القرآن الكريم

أ.م.د. محمود عريبي سلمان النعيمي
الايميل: dr.mahmoud.alnaymi@uofallujah.edu.iq
جامعة الفلوجة / كلية العلوم الاسلامية/ قسم القرآن الكريم وعلومه

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل في قصص الأولين عبرة للآخرين، والصلاة والسلام على من بُعث على ملة إبراهيم حنيفاً، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنَّ شخصية أبي الأنبياء وإمام الموحدين، إبراهيم الخليل عليه السلام، تمثل محوراً مركزياً في البناء العقدي والحضاري للأمم الكتابية، وتتبوأ في القرآن الكريم مكانة فريدة؛ فهو "الأمة القانت" ، و"القدوة الحسنة"، الذي اجتباه ربه وهداه إلى صراط مستقيم. ولم تكن حياة الخليل عليه السلام مجرد سيرة فردية، بل كانت مسيرة تأسيسية، خطّت فصولها رحلاتٌ مباركة، شكلت معالم جغرافية وإيمانية، وانتقلت بالرسالة الإلهية من طور المواجهة المحلية إلى أفق العالمية الشاملة.

لقد رسمت تنقلاته عليه السلام بين العراق والشام والحجاز خريطة مقدسة، لم تكن مجرد حركة ديموغرافية، بل كانت هجرة إيمانية تحمل في طياتها بذور بناء "الأمة المسلمة" التي تتجاوز حدود العرق والوطن لترتبط برباط العقيدة الخالصة لله رب العالمين.

على الرغم من أن كتب التفسير والسيرة قد تناولت قصة إبراهيم عليه السلام بالتفصيل، إلا أن معظمها يركز على الأحداث منفصلةً أو الدروس الوعظية المباشرة. وتكمن الاشكالية هنا في ندرة الدراسات التي تتعامل مع رحلات الخليل الثلاث باعتبارها مشروعاً إلهياً متكاملاً، يهدف إلى التأسيس لمفهوم "الأمة" بكل أبعاده العقدية والتشريعية والحضارية. من هنا، يسعى بحثي هذا إلى سد هذه الثغرة من خلال ربط المحطات الجغرافية لحياة الخليل بالمقاصد الكبرى لبناء الأمة، واستجلاء هذا الأثر من خلال تحليل النص القرآني تحليلاً موضوعياً.

كثيرا ما كنت أقرأ الآيات التي تتحدث عن حياة سيدنا ابراهيم ومعاناته مع قومه ومن ثَم انتقاله الى الشام وقصته مع الملائكة الذين قدموا لانزال عقاب الله تعالى على القرية المفسدة ومن ثَم قصته مع السيدة هاجر وولدها اسماعيل والتي اصبحت بعدها نبراسا للامة وفعلها ركنا من اركان الحج في ديننا الحنيف، فأسال نفسي عدة اسئلة:

كيف أسست رحلة العراق لمبدأ المفاصلة العقدية، باعتباره حجر الزاوية في هوية الأمة المسلمة؟

ما الأبعاد التربوية والاجتماعية التي أرستها رحلة الشام في بناء نواة الأسرة المؤمنة وامتدادها؟

كيف شكلت رحلة الحجاز ذروة المشروع الإبراهيمي في بناء المركز الروحي العالمي (الكعبة) وتأسيس شعائر الأمة الخاتمة؟

ما الملامح الكلية لمفهوم "الأمة المسلمة" التي يمكن استنباطها من مجموع هذه الرحلات المباركة؟

فسعيت الى تحليل الدلالات العميقة لرحلات سيدنا إبراهيم عليه السلام باعتبارها مراحل تأسيسية متدرجة، وإبراز الأثر المباشر لكل رحلة في بناء ركن من أركان الأمة: الهوية العقدية، والأسرة النبوية، والقبلة الجامعة.

وكذلك استنباط السنن الإلهية في بناء الأمم والدعوات من خلال مسيرة الخليل عليه السلام.

واعتمدت في بحثي على المنهج التفسيري الموضوعي، وذلك بجمع الآيات المتعلقة برحلات سيدنا إبراهيم عليه السلام وتصنيفها وتحليلها للوصول إلى رؤية كلية.

وكذلك استنباط الدلالات العقدية والتربوية والحضارية من النصوص القرآنية، مع الاستئناس بأقوال المفسرين المعتبرين.

ينقسم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة. تتناول المقدمة أهمية البحث ومنهجيته. ويُعرّف التمهيد بمكانة الخليل ومفهوم الهجرة في القرآن. أما المباحث، فيتناول الأول رحلة العراق وأثرها في التأسيس العقدي، ويدرس الثاني رحلة الشام وأثرها في البناء الأسري والتربوي، ويحلل الثالث رحلة الحجاز وأثرها في بناء المركز والشعائر. ويقوم المبحث الرابع باستخلاص الملامح الجامعة لمشروع بناء الأمة من خلال الرحلات الثلاث. وأخيراً، تعرض الخاتمة لأهم النتائج.

والله ولي التوفيق.

التمهيد

في مكانة الخليل عليه السلام ومفهوم الرحلة القرآنية

قبل الخوض في تفاصيل الرحلات المباركة، لا بد من التوقف عند محطتين تمهيديّتين؛ الأولى تتعلق بالمنزلة الفريدة التي أولاها القرآن الكريم لشخص إبراهيم الخليل، والثانية بتأصيل المفهوم القرآني للرحلة والهجرة.

المطلب الأول: مكانة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في المنظور القرآني

لم يكن سيدنا إبراهيم عليه السلام مجرد نبي من الأنبياء، بل كان ظاهرة إيمانية متكاملة، وصفه القرآن بأوصاف لم تجتمع لغيره، فهو "الأمة" وحده، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠). وقد فسر الإمام الطبري هذه الآية بأنه كان "إماماً يؤتم به في الخير" [١]، فاجتمع فيه من خصال الخير ما يتفرق في أمة كاملة.

كما منحه الله تعالى أسمى وسام روحي، وهو "الخُلّة"، فقال: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥). والخُلّة هي "أعلى درجات المحبة، وهي التي تخللت روح المحب وقلبه" [٢]، فلا يبقى فيه متسع لغير محبوبه. وهذه المنزلة كانت ثمرة لكمال توحيده وبذله وتضحيته.

وجعله الله "للناس إماماً" (البقرة: ١٢٤)، وهذه الإمامة ليست محصورة في زمانه، بل هي ممتدة وخالدة، حتى أُمر خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم باتباع ملته: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (النحل: ١٢٣). فملته هي جوهر الرسالات السماوية، وهي التوحيد الخالص، والإسلام المطلق لله رب العالمين [٣].

المطلب الثاني: مفهوم الرحلة والهجرة في القرآن الكريم

إنَّ مفهوم "الرحلة" و"الهجرة" في القرآن يتجاوز المعنى المادي المتمثل في الانتقال من مكان إلى آخر، ليحمل أبعاداً روحية وعقدية عميقة. فالهجرة في جوهرها هي "الانتقال من حال إلى حال، ومن

---

١ – الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة /بيروت، ٢٠٠٠ ج ١٧، ص ٣١٣ .

٢ – السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة/بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢١٠ .

٣ – ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع/ الرياض، ١٩٩٩، ج ٤/ ص ٦١٠.

أرض إلى أرض، فراراً بالدين، وطلباً لمرضاة رب العالمين" [٤]. إنها ليست هروباً سلبياً، بل هي حركة إيجابية تهدف إلى إيجاد بيئة صالحة للدعوة، أو بناء مجتمع جديد، أو الحفاظ على هوية المؤمن.

وقد كانت هجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام هي النموذج الأول لهجرة الأنبياء والدعاة، حيث قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: ٩٩). هذه الآية، كما يقول ابن عاشور، "تأسيس لمعنى الهجرة من أرض الكفر... ففيها أصل عظيم من أصول التشريع الإسلامي" [٥]. فالذهاب إلى الله ليس ذهاباً حسياً، بل هو قصد طاعته واللجوء إليه، واختيار المكان الذي يُمكّن العبد من عبادته. وبهذا المعنى، كانت رحلات الخليل هجرة مستمرة نحو الله، كل مرحلة منها تُمثل ارتقاءً في مقامات العبودية، وتأسيساً لركن من أركان الأمة المسلمة.

المبحث الأول

رحلة العراق: التأسيس العقدي والمفاصلة الإيمانية

تُمثل أرض العراق، وتحديداً مدينة "أور" الكلدانية كما تشير المصادر التاريخية، المحطة الأولى في مسيرة الخليل الدعوية، والبيئة التي شهدت أول صدام بين نور التوحيد وظلمات الوثنية. لم تكن هذه المرحلة مجرد بداية زمنية، بل كانت منطلقاً تأسيسياً، أرست فيه دعوة إبراهيم عليه السلام الركيزة الأساسية التي تقوم عليها هوية الأمة المسلمة: صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، والمفاصلة الحاسمة بين الإيمان والشرك. في هذا المبحث ساتتبع فصول هذه الرحلة من خلال النص القرآني، لنكشف عن أثرها في غرس بذور الأمة الوليدة.

المطلب الأول: مواجهة الشرك ومنهجية الحوار القرآني

لم تبدأ دعوة الخليل عليه السلام بفرض أو قوة، بل انطلقت بمنطق الحجة والبرهان، مقدمةً للأمة المسلمة منهجاً خالداً في الدعوة إلى الله. وقد تنوعت أساليبه الحوارية بتنوع المخاطبين، مما يكشف عن حكمة بالغة وفهم عميق لنفسياتهم.

أولاً: حواره مع أبيه (منطق العاطفة والرحمة)

كانت أولى دوائر المواجهة وأشدها حساسية هي دائرة الأسرة. يقدم القرآن الكريم حوار إبراهيم مع أبيه "آزر" كنموذج فذٍّ في الجمع بين اللين في الخطاب والصلابة في المبدأ. يبدأ النداء بكلمة ﴿يَا أَبَتِ﴾ (مريم: ٤٢)، وهي "أرق وألطف من كلمة (يا أبي)" [٦]، لما فيها من استعطاف وتوقير. ثم ينتقل إلى الحجة العقلية الهادئة: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ (مريم: ٤٢). إنه استفهام يوقظ الفطرة ويدعو إلى التأمل في عبثية عبادة الجمادات.

ورغم تهديد الأب بالطرد والرجم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٦)، يقابل إبراهيم هذا العنف اللفظي بسلام الروح وسماحة المؤمن: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٧). وبهذا، يرسي القرآن للأمة قاعدة دعوية خالدة: أن علاقة الدم والقرابة، مع عظيم

---

[٤]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية/القاهرة، ١٩٦٤ ج ٥/ ص ٣٤٨.

[٥] – ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر/ تونس، ١٩٨٤، ج ٢٣، ص ٨٩.

[٦]– الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر/بيروت، ج ٤، ص ١٦.

حقها، لا تقدَّم على حق العقيدة، وأن الحوار مع الأهل يجب أن يتسلح بالرحمة والصبر الجميل ما لم يصل إلى حد المداهنة في أصل الدين [٧].

ثانياً: حواره مع قومه (منطق الدليل الكوني)

عندما اتسعت دائرة الدعوة لتشمل المجتمع، اتبع إبراهيم عليه السلام منهجاً استدلالياً فريداً، يأخذ بأيدي قومه في رحلة عقلية عبر ملكوت السماوات والأرض. تحكي سورة الأنعام هذا الحوار البديع، حيث تظاهر بمجاراتهم في عبادة الكواكب لينقضها من داخلها. فلما رأى كوكباً قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، فلما أفل وغاب، أعلن أول نتيجة: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (الأنعام: ٧٦). فالرب لا يغيب عن مربوبه. ثم تدرج معهم إلى القمر، ثم إلى الشمس وهي أعظم الأجرام المنظورة، وفي كل مرة كان يثبت لهم أن كل ما هو متغير، حادث، ومحكوم بقانون الغياب، لا يصلح أن يكون إلهاً.

إنَّ هذا الأسلوب، كما يشير الإمام الرازي، "ليس استدلال الناظر لنفسه، بل هو استدلال المحاجّ لخصمه" [٨]، فهو يقودهم خطوة بخطوة إلى الحقيقة التي أعلنها في ختام هذه الرحلة الفكرية: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ (الأنعام: ٧٨-٧٩). لقد أسس هذا الحوار لمنهجية الأمة المسلمة في الدعوة، وهي الانطلاق من الآيات الكونية المنظورة كدليل على الخالق غير المنظور، واستخدام المنطق السليم لهدم أسس الشرك.

ثالثاً: حواره مع الحاكم (منطق البرهان القاطع)

وصل الصدام إلى ذروته بمواجهة السلطة السياسية والدينية المتمثلة في الملك (نمرود). يقدم القرآن هذا الحوار في سورة البقرة كنموذج للمواجهة الخاطفة والحاسمة. بدأ إبراهيم بتعريف ربه تعريفاً وظيفياً: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (البقرة: ٢٥٨). حاول الملك المغرور أن يجاري الحجة بمغالطة سمجة: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، وذلك بقتل رجل والعفو عن آخر. هنا، لم ينجر إبراهيم عليه السلام إلى جدل بيزنطي حول معنى الإحياء والإماتة، بل انتقل فوراً إلى حجة لا تقبل السفسطة، حجة كونية قاهرة: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

هذا الانتقال البرهاني السريع هو "مما يقطع الخصم ويلقمه الحجر" [٩]، وقد أسس لقاعدة مهمة في المناظرة، وهي عدم الاستطراد في تفنيد الشبهات الواهية، والانتقال إلى دليل أوضح وأقوى ينسف القضية من أساسها. إنه يعلم الأمة كيف تواجه طغيان السلطة بقوة الحجة وعزة الإيمان.

المطلب الثاني: دلالات كسر الأصنام: الثورة العملية على الشرك

لم يكتفِ إبراهيم الخليل بالحجة اللفظية، بل أتبعها بالبرهان العملي الذي يهز القناعات الراكدة. إن حادثة تحطيم الأصنام، كما وردت في سورة الأنبياء، ليست مجرد عمل تدميري، بل هي رسالة دعوية بليغة. بعد أن تولى قومه عن دعوته، أقسم بالكيد لأصنامهم: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (الأنبياء: ٥٧). ثم نفذ وعيده: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٨).

إن استثناء الصنم الأكبر وتعليق الفأس في عنقه كان ذكاءً دعوياً فائقاً [١٠]. فعندما عادوا وسألوه: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٦٢)، لم يجب بنعم أو لا، بل أحالهم إلى خصمهم المزعوم: ﴿قَالَ بَلْ

---

[٧] – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق/القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢ هـ، ج ٤، ص ٢٣١٤.

[٨] – الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ، ج ١٣، ص ٥٣.

[٩] – ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٦٨٦.

فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٣). لقد كانت هذه الإجابة صدمة منطقية أجبرتهم على العودة إلى ذواتهم والتفكير بعقولهم لا بعاداتهم: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٤).

هذا الفعل يؤسس في وعي الأمة المسلمة أن الإيمان ليس قناعة قلبية فحسب، بل هو حركة تغييرية تسعى لإزالة رموز الشرك من الواقع. إنه يعلم الأمة أن مواجهة الباطل تتطلب شجاعة عملية، وأن البرهان الفعلي قد يكون أبلغ من ألف كلمة.

المطلب الثالث: آيات النجاة من النار: اليقين والتوكل كثمرة للتوحيد

عندما عجز القوم عن مقارعة الحجة بالحجة، لجأوا إلى منطق القوة الغاشمة: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨). إنها لحظة اختبار اليقين المطلق، حيث يجتمع أهل الباطل كافة على إفناء داعية الحق الوحيد. في هذه اللحظة التي تنقطع فيها كل الأسباب الأرضية، يأتي التدخل الإلهي المباشر الذي يقلب موازين الطبيعة: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

لم يقل "برداً" فقط، فربما أهلكته ببردها، بل أتبعها بـ"سلاماً"، فنزع عنها خاصية الإحراق وأبقى عليها خاصية الإشراق والنور [١١]. هذه المعجزة الخارقة هي الإعلان الإلهي عن صحة منهج إبراهيم وصدق رسالته.

لقد غرست هذه الحادثة في وجدان الأمة المسلمة عقيدة راسخة: أن الله هو مسبب الأسباب، وأن قوانين الكون طوع أمره، وأن من صدق في توكله على الله كفاه. إنها رسالة لكل مؤمن يواجه بطش الطغاة: كن إبراهيمياً في يقينك، ترَ العناية الربانية في نصرتك. فالنار التي أُعدت للإحراق، أصبحت رمزاً للسلام والنجاة، وهذا هو جوهر النصر الإلهي لمن ينصره.

المطلب الرابع: المفاصلة والهجرة: التأسيس لمبدأ الولاء والبراء

بعد أن أقام إبراهيم الحجة قولاً وعملاً، وبعد أن أتته الآية الكبرى بنجاته من النار، لم يبق مجال للتعايش مع مجتمع يصر على الشرك. هنا جاءت لحظة المفاصلة الحاسمة، التي تُعد أهم ثمرة عقدية لهذه الرحلة. هذه المفاصلة لم تكن مجرد اعتزال مكاني، بل كانت براءة عقدية واضحة، جعلها الله "أسوة حسنة" للأمة إلى يوم الدين. يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤).

إنَّ هذا الإعلان، كما يقول ابن عاشور، هو "تأسيس للانعزال عن المجتمع الكافر، وتكوين لمجتمع جديد هو مجتمع الإيمان" [١٢]. إنه ترسيم لحدود الهوية الإيمانية.

وكانت "الهجرة" هي الترجمة العملية لهذه المفاصلة القلبية. لقد كان قراره ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (مريم: ٤٨)، إيذاناً بترك وطن الجسد من أجل سلامة وطن الروح، والبحث عن أرض جديدة تكون منطلقاً لبناء مجتمع التوحيد. فكانت هجرته ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: ٩٩) هي الخطوة الأولى نحو العالمية، والانعتاق من المحلية الضيقة إلى رحاب الأمة الواسعة. وبهذا، أسست رحلة العراق

---

١٠ – الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر، دار الكتاب العربي/بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ، ج ٢، ص ٥٧٧.

١١– ينظر الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين محمود، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية/بيروت، ١٤١٥ هـ، ج ٩، ص ١٢٥.

١٢– ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ١٥٦.

لأهم مبدأ في بناء الأمة: مبدأ "الولاء والبراء"، الذي يعني أن رابطة العقيدة هي الرابطة الأسمى، وهي التي تحدد هوية الأمة وانتماءها.

المبحث الثاني

رحلة الشام والأراضي المباركة: الصبر والابتلاء وبناء الأسرة النبوية

بعد أن أرسى الخليل عليه السلام قواعد المفاصلة العقدية في العراق، انتقلت مسيرته المباركة إلى طور جديد، طور البناء والتكوين. فكانت هجرته إلى الشام ليست مجرد فرار بالدين، بل كانت قصداً لأرض مباركة، اختارها الله تعالى لتكون محضناً للذرية النبوية، ومسرحاً لأعظم الابتلاءات التربوية التي شكلت شخصية "أبي الأنبياء"، وأسست لنواة الأسرة المسلمة التي ستحمل مشعل الهداية للعالمين. في هذا المبحث، نتتبع أثر هذه الرحلة في ترسيخ قيم الصبر، وتجذير فضيلة الدعاء، وبناء الخلية الأولى في جسد الأمة المسلمة.

المطلب الأول: أرض البركة: دلالة اختيار الشام منطلقاً جديداً للدعوة

لم يكن اختيار وجهة الهجرة عشوائياً، بل كان بوحي وتوفيق من الله تعالى. يصف القرآن الكريم وجهة الخليل الجديدة بقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٧١). إن وصف هذه الأرض بـ"البركة العالمية" يحمل دلالات عميقة تتجاوز مجرد الخصوبة المادية. فالبركة هنا، كما يوضح المفسرون، هي "بركة دينية في معظمها، فمنها بعث أكثر الأنبياء، وفيها مهبط الوحي، وهي معقل الإيمان" [١٣]. إنها بركة تجعل من هذه الأرض مسرحاً لأهم فصول تاريخ الهداية البشرية.

إنَّ انتقال سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى هذه الأرض المباركة يمثل تحولاً استراتيجياً في مسار الدعوة. فبعد أن كانت دعوته في العراق محصورة في دائرة المواجهة والصراع، أصبحت في الشام منطلقاً لبناء مجتمع جديد في بيئة طاهرة ومباركة. إن عبارة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ تشير إلى أن بركة هذه الأرض لن تكون محصورة في أهلها، بل ستمتد آثارها لتشمل العالمين، وذلك من خلال ما سيخرج منها من أنبياء ورسالات، وعلى رأسهم أنبياء بني إسرائيل من نسل إسحاق عليه السلام [١٤].

وبهذا الاختيار الإلهي، تتأسس في وعي الأمة المسلمة "جغرافيا الإيمان"، وهي أن بعض الأماكن تكتسب قدسيتها وبركتها لارتباطها بالوحي والنبوة. فالأرض في حد ذاتها لا تقدس، وإنما يقدسها ما يحل فيها من أمر الله. وقد شكلت هذه الهجرة إلى "الأرض المباركة" تمهيداً لجعلها مركزاً ثانياً من مراكز التوحيد بعد مكة، ومهداً لرسالات عظيمة ستكون جزءاً لا يتجزء من تاريخ الأمة المسلمة وتراثها الديني.

المطلب الثاني: الابتلاءات الكبرى ومقام الصبر والدعاء

إذا كانت رحلة العراق قد اختبرت صلابة إبراهيم العقدية، فإن رحلة الشام قد صقلت روحه بالابتلاءات الشخصية والأسرية العميقة، لتقدم للأمة نموذجاً فريداً في الصبر والتعلق بالله وحده.

كان أعظم هذه الابتلاءات هو شوقه للولد مع تقدمه في السن وعقم زوجته سارة. إنه ابتلاء يمس أعمق غريزة بشرية، ويهدد بانقطاع الأثر والذرية التي ستحمل الرسالة. وفي خضم هذا الاختبار الطويل، لم يعرف اليأس طريقاً إلى قلب الخليل، بل كان سلاحه هو التوجه إلى الله بالدعاء الخالص. لقد كانت أدعيته نموذجاً في الأدب واليقين، فلم تكن مجرد طلب للولد، بل كانت طلباً للولد الصالح الذي يضمن

---

[١٣] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ٣٠٣

[١٤] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، محمد الطاهر، ج ١٧/ ص ٩٤.

استمرارية دعوة التوحيد. قال تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠). وكما يقول السعدي، فإن هذا الدعاء "يتضمن أنه يكون صالحاً في نفسه، وينفع الله به غيره" [١٥].

إنَّ هذا الصبر الطويل المقرون بالدعاء الدائم، هو درس بليغ للأمة المسلمة في كيفية التعامل مع أقدار الله المؤلمة. إنه يعلمنا أن الابتلاء ليس عقوبة، بل هو تربية ورفعة للدرجات. كما يؤسس لمبدأ أن الأسرة المسلمة، وهي نواة الأمة، لا تُبنى على الوفرة المادية والسهولة، بل تُصهر في بوتقة الابتلاءات المشتركة، وتُصقل بالصبر، وتُحفظ بالدعاء. إن صبر إبراهيم وسارة معاً على هذا الحرمان الطويل هو الذي أهّلهما ليكونا "أبوين" لأمة من الأنبياء والصالحين.

المطلب الثالث: البشارة بالذرية الصالحة كاستجابة إلهية

يأتي الفرج الإلهي دائماً في اللحظة التي تبلغ فيها الشدة ذروتها، وتكون الاستجابة أعظم من كل التوقعات. لم تكن ثمرة صبر إبراهيم ودعائه مجرد ولد، بل كانت بشرى إلهية تحملها الملائكة، وتؤسس لمستقبل النبوات.

تأتي البشارة الأولى بإسماعيل عليه السلام من هاجر، ليكون أول ثمرة للدعاء، وأول حلقة في سلسلة الذرية المباركة. ثم تأتي البشارة الكبرى بإسحاق من زوجته العجوز العاقر سارة، لتكون معجزة ماثلة ودليلاً على أن قدرة الله لا تحدها الأسباب. يصور القرآن دهشة سارة عند سماع البشرى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (هود: ٧٢). فيأتي الرد الإلهي ليضع الأمور في نصابها: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (هود: ٧٣).

والأهم من ذلك، أن البشارة لم تكن بولد فحسب، بل بذرية نبوية ممتدة ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١). لقد كانت الاستجابة بحجم صبر الداعي ومكانته عند ربه.

إنَّ هذه القصة تؤسس لمبدأ قرآني عظيم في بناء الأمة، وهو أن الله حين يهب، فإنه يهب عطاءً جزيلاً مباركاً يمتد أثره عبر الأجيال. إن ولادة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام لم تكن حدثاً عائلياً خاصاً، بل كانت حدثاً تاريخياً، رسم خارطة النبوة المستقبلية، وأسس للجناحين العظيمين للأمة الإبراهيمية: بنو إسماعيل في الحجاز، وبنو إسرائيل (أبناء يعقوب بن إسحاق) في الشام وما حولها [١٦]. وبهذا، تعلم الأمة أن ثمرة الصبر على الابتلاء ليست مجرد نجاة شخصية، بل هي غالباً ما تكون مشروعاً إلهياً أكبر، يخدم مقاصد الدين العليا.

المبحث الثالث

رحلة الحجاز: تتويج المسيرة ببناء القبلة وتأسيس الشعائر

إذا كانت رحلة العراق قد أسست للهوية العقدية، ورحلة الشام قد كونت النواة الأسرية، فإنَّ رحلة الحجاز تمثل ذروة المشروع الإبراهيمي وتتويجه العملي. في هذه الصحراء القاحلة، بأمر إلهي مباشر، لم يضع إبراهيم عليه السلام حجراً في بناء فحسب، بل وضع حجر الأساس للمركز الروحي الأبدي، وأسس لشعائر ستوحد الأمة الخاتمة على اختلاف ألسنتها وألوانها إلى يوم الدين. إنها رحلة الانتقال من بناء الإنسان إلى بناء المكان الذي سيتوجه إليه هذا الإنسان، ومن تكوين الأسرة إلى تأسيس القبلة التي ستجمع الأمة.

المطلب الأول: حكمة الإسكان في الوادي غير ذي زرع

---

١٥ – السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر، ص ٧٠٦.

١٦ – ينظر دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله، تحقيق: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم/الكويت، ط ٣، ٢٠٠٥، ص ١٣٤ .

كانت الخطوة الأولى في هذا المشروع العظيم تبدو غريبة في مقاييس البشر المادية، وهي ترك زوجته هاجر ورضيعها إسماعيل في وادٍ مقفر لا ماء فيه ولا أنيس. لكنها كانت خطوة محكومة بالوحي، تحمل في طياتها حكمة بالغة. يكشف دعاء الخليل عليه السلام في تلك اللحظة عن المقصد الأسمى من هذا الفعل: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

يُستنبط من هذا الدعاء عدة أسس في بناء مركز الأمة:

- وهو التأسيس على العبادة لا على المادة؛ لم يكن المقصد من الإسكان البحث عن خصب أو تجارة، بل كان الهدف الأول هو إقامة الصلاة ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. وهذا يؤسس لمفهوم أن مراكز الأمة المسلمة يجب أن تُبنى على أساس تعظيم الله أولاً، وأن عمرانها الروحي يسبق عمرانها المادي [١٧].

- الجاذبية القلبية (الروحية): لم يدعُ إبراهيم أن تأتيهم الأبدان قسراً، بل دعا بأن "تهوي" إليهم "أفئدة" من الناس. والهوي هو "الحركة السريعة للقلب بدافع الشوق والمحبة" [١٨]. وهذا يؤسس لكون هذا المركز (مكة) قائماً على جاذبية روحية وشوق إيماني، لا على قوة سياسية أو اقتصادية، وهو سر بقائه واستمراريته.

- التجرد من الأسباب والتعلق برب الأسباب: إن ترك الرضيع وأمه في صحراء قاحلة هو أقصى درجات التوكل والتسليم. وبهذا، أراد الله أن يكون قيام هذا البيت معجزة خالصة، شاهداً على أن الله هو الذي يرعى بيوته وأولياءه حين تنقطع كل الأسباب الأرضية.

المطلب الثاني: بناء البيت ورفع القواعد: رمزية الطهارة والتوحيد

بعد أن شبّ إسماعيل، جاء الأمر الإلهي الثاني تتويجاً للأول: بناء الكعبة ورفع قواعدها. لم يكن عملاً معمارياً فحسب، بل كان عملاً تعبدياً تربوياً عظيماً. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧).

إن هذا الحدث يؤسس لأركان جوهرية في هوية الأمة:

- مركزية التوحيد: جاء الأمر الإلهي لإبراهيم مصحوباً بالغاية منه: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥). إن تطهير البيت من كل مظاهر الشرك والوثنية هو الوظيفة الأولى لهذا المركز، ليظل منارة للتوحيد الخالص.

- العبادة كغاية للعمران: حددت الآية وظائف البيت: الطواف، الاعتكاف، الركوع، السجود. إنها كلها أعمال تعبدية، مما يرسخ أن قيمة هذا المكان ليست في أحجاره، بل في العبادة التي تقام فيه، وهو درس للأمة في أن قيمة منشآتها ومشاريعها يجب أن تقاس بمدى خدمتها للغاية التي خُلقت من أجلها.

- الدعاء المصاحب للعمل: لم يغترّ إبراهيم وإسماعيل بشرف بناء أول بيت وضع للناس، بل كانا يبنيان ويرجوان القبول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾. وهذا يربي الأمة على أن الإخلاص وطلب القبول من الله هو روح كل عمل، وأن العبرة ليست بضخامة الإنجاز بل ببركته وقبوله عند الله [١٩].

المطلب الثالث: الأذان بالحج: إعلان عالمية الدعوة وختم الرسالة

١٧- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥ هـ، ج ١، ص ٥٣.

١٨- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم/دمشق، ١٤١٢ هـ، ص ٨٤٧

١٩ – ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١/ ص ٤٤١

بعد أن تم بناء المركز، جاء الأمر الإلهي بإعلان عالميته، ودعوة البشرية جمعاء لزيارته والاجتماع فيه. ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧).

إن هذا الأذان يمثل نقلة نوعية في تاريخ الدعوة الإبراهيمية، ففيه:

- تأسيس لمبدأ العالمية: لم يقل "أذّن في قومك"، بل ﴿فِي النَّاسِ﴾، مما يجعل هذه الدعوة تخترق حواجز الزمان والمكان، وتؤسس لمفهوم الأمة العالمية التي لا تعترف بحدود الجنس أو اللون.
- شعيرة جامعة تخلد ذكرى التأسيس: أصبح الحج مؤتمراً سنوياً عالمياً، تتلاقى فيه الأمة لتجديد عهدها مع الله، وتذكر تضحيات مؤسسها الأول إبراهيم عليه السلام. فالسعي بين الصفا والمروة يخلد ذكرى هاجر، ورمي الجمار يذكر بعداء الشيطان، والنحر يذكر بقصة الفداء العظيم. وبهذا، أصبحت شعائر الحج سجلاً حياً لتاريخ التأسيس[٢٠].
- الوحدة في التنوع: إن مشهد الحجيج القادمين ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، بلباس واحد، ونداء واحد (لبيك اللهم لبيك)، هو أبلغ تجسيد عملي لوحدة الأمة في تنوعها، وتحقيق لدعوة إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة: ١٢٨).

وهكذا، برحلة الحجاز، اكتمل المشروع الإبراهيمي، فأصبحت للأمة هويتها العقدية الصافية (من رحلة العراق)، وأسرتها النبوية المباركة (من رحلة الشام)، وقبلتها الجامعة وشعائرها الموحِّدة (من رحلة الحجاز).

المبحث الرابع:
الملامح الجامعة للأمة المسلمة في ضوء رحلات الخليل

بعد تتبع فصول الرحلات الإبراهيمية الثلاث، من العراق إلى الشام ثم إلى الحجاز، يمكننا الآن استخلاص صورة متكاملة للملامح الكلية التي أراد الله غرسها في هوية "الأمة المسلمة"، والتي يمثل إبراهيم عليه السلام أباها ونموذجها الأعلى. هذه الملامح ليست مجرد صفات نظرية، بل هي ثمرة مسيرة حية من الدعوة والهجرة والابتلاء والبناء.

١ - أمة التوحيد الخالص:

أول وأهم ملمح هو قيام الأمة على أساس التوحيد المطلق لله، ونبذ كل أشكال الشرك. هذا الملمح تجلى بوضوح في رحلة العراق، عبر مواجهة إبراهيم لأبيه وقومه والملك، وتحطيمه للأصنام، وإعلانه البراءة التامة ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾. فالهوية الأولى للأمة المسلمة هي أنها أمة تعبد رباً واحداً، وتستمد منهجها وقيمها منه وحده. إنها أمة ربانية، لا وثنية ولا مادية.

٢ - أمة العالمية:

لقد حررت رحلات إبراهيم الدعوة الإلهية من النطاق المحلي الضيق إلى الأفق العالمي الرحب. بدأت المواجهة في "أور"، ثم انتقلت الدعوة إلى أرض "يبارك فيها للعالمين" (الشام)، وبلغت ذروتها بإعلان الحج "للناس" كافة من "كل فج عميق" (الحجاز). فالأمة المسلمة ليست أمة عرقية أو قومية، بل هي أمة عالمية، مفتوحة لكل من يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وتجمعها قبلة واحدة وإن اختلفت الأوطان.

٣ - أمة الابتلاء والصبر:

مسيرة الخليل عليه السلام من المهد إلى اللحد هي مسيرة ابتلاءات كبرى: مواجهة مجتمع بأكمله، والإلقاء في النار، والهجرة من الوطن، والحرمان من الولد، ثم الأمر بتركه في صحراء، والأمر بذبحه.

---

[٢٠] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤/ ص ٢٤٣٤

وبهذا، ترسخ في هوية الأمة أن طريق الإيمان ليس مفروشاً بالورود، وأن التمكين لا يأتي إلا بعد اختبار وابتلاء. فالصبر على أقدار الله، والثبات على المنهج في وجه التحديات، هو سمة أصيلة في شخصية هذه الأمة.

٤ - أمة الإيجابية والبناء:

لم تكن هجرة إبراهيم هروباً سلبياً، بل كانت حركة إيجابية تهدف إلى البناء والتأسيس. فبعد المفاصلة في العراق، جاء بناء الأسرة في الشام، ثم بناء المركز في الحجاز. وهذا يعلم الأمة أن موقف المسلم من الباطل لا يقتصر على الرفض والاعتزال، بل يجب أن يتبعه سعي دؤوب لبناء مجتمع الحق، وإقامة منارات الهدى في الأرض. إنها أمة فاعلة، تبني ولا تهدم، وتعمر ولا تخرب.

٥ - أمة الإمامة والقدوة:

وصف الله إبراهيم بأنه "أمة" وبأنه "للناس إماماً". وجعل فيه "أسوة حسنة". هذا يعني أن الأمة التي تنتسب إليه هي بطبيعتها أمة إمامة وشهادة على الناس. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣). هذه الإمامة والشهادة تقتضي أن تكون الأمة في قمة الصلاح والعدل والعلم، لتقدم للعالمين النموذج العملي للإسلام، تماماً كما قدم إبراهيم النموذج العملي للتوحيد.

إن مجموع هذه الملامح يشكل "ملة إبراهيم" التي أُمر النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم باتباعها، وهي جوهر هوية الأمة المسلمة التي تتجاوز الزمان والمكان.

الخاتمة

وفي ختام بحثي الذي حاولت فيه تتبع مسار رحلات أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وأثرها في بناء الأمة المسلمة من منظور قرآني، نصل إلى مجموعة من النتائج الهامة.

١ - أثبت البحث أن رحلات إبراهيم عليه السلام لم تكن تنقلات عشوائية، بل كانت مشروعاً إلهياً متكاملاً ومتدرجاً، يهدف إلى التأسيس الشامل لمفهوم الأمة المسلمة.

٢ - شكلت كل رحلة مرحلة تأسيسية لركن أساسي من أركان الأمة: فرحلة العراق أسست للهوية العقدية القائمة على المفاصلة والولاء والبراء، ورحلة الشام أسست للنواة الأسرية والتربوية القائمة على الصبر والدعاء، بينما توجت رحلة الحجاز المشروع ببناء المركز الروحي العالمي (القبلة) والشعائر الجامعة.

٣ - كشف البحث عن أن سيرة الخليل عليه السلام تقدم منهجاً متكاملاً في الدعوة والبناء، يجمع بين الحوار العقلي (حواره مع قومه)، والشجاعة العملية (كسر الأصنام)، والتوكل المطلق (النجاة من النار)، والصبر الجميل (انتظار الولد)، والتسليم الكامل (قصة الذبح)، والبناء الحضاري (بناء الكعبة).

٤ - أبرز البحث أن مفهوم "الأمة المسلمة" في المنظور الإبراهيمي يقوم على أسس عقدية وروحية (التوحيد، العالمية، الصبر) وليس على أسس عرقية أو جغرافية، مما يمنحها القدرة على الامتداد والاستمرارية.

المصادر

القرآن الكريم

١ - الألوسي، شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم. تحقيق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.

٢ - ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

٣ - ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥ هـ.

٤ - ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
٥ - دراز، محمد عبد الله. النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن. تحقيق: أحمد مصطفى فضلية. الكويت: دار القلم، ط ٣، ٢٠٠٥.
٦ - الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق: دار القلم، ١٤١٢ هـ.
٧ - الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
٨ - الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
٩ - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.
١٠ - الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت.).
١١ - الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.
١٢ – سيد قطب. في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق، ط ١٧، ١٤١٢ هـ.
١٣ - القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤.